افتتاحية كتبت في نشرة "صدى الصمت" التي تصدر عن "الهيئة اللبنانية لمناهضة العنف ضد المرأة"، العدد الثالث، ونشرت في قضايا النهار – جريدة النهار اليومية اللبنانية، بتاريخ 30 كانون الأول، 2000

الشاهدون على العنف ضد المرأة هل يبلّغون

عزّه شرارة بيضون

يساهم الإعلام في عصرنا بالإعلان عن العنف الذي يمارسه بعض الرجال في مجتمعاتنا على بعض نسائه . لكن مساهمته تقتصر على إبراز الحوادث الاستثنائية التي ينتج عنها موت أو أذى جسدي محسوس للمرأة . ماذا عن الحوادث "الطبيعية" **اليومية** غير الصاخبة التي تتلقاها أجساد النساء ، أو تلك التي تشوّه نفسياتهن أو تخفض معنوياتهن أو تؤثر على عقلهن وعلاقاتهن .....وعلى وجودهن بمجمله ؟

هذه الحوادث اليومية التي تزخر بها حياة المعنّفات من النساء تدمّر إنسانيتهن ببطء ومنهجية. وفي حين يتلكّأ مجتمعنا باستنكارها، فإن الإعلام يجاريه فلا يعتبرها مادة "مثيرة" تستدعي اهتمامه. من هنا ، فإن **كسر الصمت** الذي تنتهجه الجماعات المناهضة للعنف ضد النساء هو بمثابة **إعلام بديل** يتولّى الإعلان عن هذه الحوادث اليومية على الملأ ونزع صفة "الطبيعية" عنها. في هذا الإطار يندرج شق رئيسي من نشاطنا : عرض تفاصيل معاناة امرأة معنّفة أو تحضير جلسة استماع لها ،نشر الوعي بين التلميذات الناشئات ،المحاضرات والندوات والمؤتمرات الصحافية ، الخ.

لكن هذا لا يكفي . إن كسر الصمت على العنف ضد المرأة يستدعي أن نقوم بالتعاون مع الأشخاص الذين وضعتهم مهنهم على تماس مباشر مع النساء المعنّفات وتحريضهم على الإبلاغ عن مشاهداتهم . هؤلاء هم **الأطباء والممرضون والمدرّسون** الذين يعاينون آثار الكدمات والجروح "الغامضة" على جسد الأنثى المعنّفة، و**المعالجون النفسيون** ومن ينوب عنهم ،أحيانا"، (رجال الدين،مثلا")، الذين يلمسون آثار التعذيب النفسي في عوارضها النفسية وتعبيراتها الجسدية ، **المحامون والقضاة** الذين تلجأ إليهم المرأة المعنّفة حين تعدم كل حيلة ، وأخيرا"، لا آخرا"، أفراد **قوى الأمن الداخلي** في المخافر التي تستقبلها في لحظات الذروة في مسار تعنيفها .

هذا التحريض هو خطوة أولى على طريق استقطاب أشخاص من هذه المهن ومؤسساتها يتنبّهون لمظاهر العنف ضد النساء ويعملون على فضحه . فيقوم الطبيب، مثلا"، بسبر شكاوى المريضة المبهمة عمّا يبدو آثار عنف على جسدها، و يقوم بتثبيتها في ملفّها وبالتبليغ عنها إلى السلطات الطبية الأعلى . وينطبق الأمر نفسه على الممرّض والمعالج النفسي والمرشد الاجتماعي والمدرّس والمحامي والخفير الخ. هذه الأفعال قد تكون في البدء، تنفيذا" لقناعات فردية مبعثرة ومحصورة الفعالية؛ لكنها مرشّحة للتطوير إلى "سياسة" يعتنقها تيار مناهض للعنف ضد المرأة داخل مهنة الطب أو التمريض أو العلاج النفسي أو الخ ، وصولا" إلى بلورتها على شكل استجابة معممة بين أفراد هذه المهن، وفقا" لقواعد ملزمة لهم وواجبات مهنية وأخلاقية تحكم ممارساتهم .

إن صمت بعض النساء على ما يدعونه "أقدارهن" المحفوفة بالعنف إنما هو تقليد توارثنه وتعلّمنه من بنات جنسهن. وحين يشجّعن على الكلام عن تفاصيله اليومية من قبل سلطات طبية وقانونية واجتماعية وأمنية ..... وحين تقوم هذه السلطات ، بدورها، بالتبليغ عنه ونشره في العام يغدو، إذ ذاك، آفة ينبغي التنبّه لتعبيراتها والعمل على التصدّي لها.

مناهضة العنف ضد النساء مهمة متشعّبة السبل ومتعددة المحاور. والتعاون مع **الفئات المهنية الشاهدة** على هذا العنف ومواكبة تحركها في سبيل كسر الصمت حوله والعمل على جعله شانا" من شؤون المهنة وانشغالاتها واحد من هذه السبل ومحور رئيسي من محاور أنشطتنا . ونحن على يقين من أن تنمية مجتمعنا لا يمكن أن تتحقق إذا سكتت الفئات المهنية هذه عن العنف الذي يمارسه بعض رجاله على بعض نسائه.